# قوَى الإسلَام الثّلاث

الإسلام دين القوة. وكيف يكون غير ذلك وشارعه هو الجبار ذو القوة المتين، ومبلغه هو محمد الصبار ذو العزيمة الأمين، وكتابه هو القرآن الذي تحدى كل إنسان وأعجز، ولسانه هو العربي الذي أخرس كل لسان وأبان، وقواده " الخالديون " هم الذين أخضعوا لسيوفهم رقاب كسرى وقيصر، وخلفاءه " العمريون " هم الذين رفعوا عروشهم على نواصي الشرق والغرب.

الإسلام قوة في الرأس، وقوة في اللسان، وقوة في اليد، وقوة في الروح.

هو قوة في الرأس؛ لأنه يفرض على العقل توحيد الله بالحجة، وتصحيح الشرع بالدليل، وتوسيع النص بالرأي، وتعميق الإيمان بالتفكر.

وهو قوة في اللسان، لأن البلاغة هي معجزة وأداته. والبلاغة قوة في الفكرة، وقوة في العاطفة، وقوة في العبارة.

وهو قوة في اليد، لأن موحيه وهو الحكيم الخبير، قد علم أن العقل بسلطانه، واللسان ببيانه، لا يغنيان عن الحق شيئًا إذا ما أظلم الحس، وتحكمت النفس، وعميت البصيرة؛ فجعل من القوة المادية ذائدًا عن كلمته، وداعيًا إلى حقه، ومنفذًا لحكمه، ومؤيدًا لشرعه. كَتَبَ على المسلمين القتال في سبيل دينهم ودينه، وفرض عليهم إعداد القوة والخيل إرهابًا لعدوهم وعدوه، وأمرهم أن يقابلوا اعتداء المعتدين بمثله.

والإسلام بعد ذلك قوة الروح؛ لأنه يمحص جوهرها بالصيام والقيام والاعتكاف والارتياض والتأمل.

وهذه القوة المتفرقة إنما تتضام وتتجمع في قوى ثلاث ذوات صيغ ثلاث:

قوة الفرد بالإيمان، وصيغتها: " الله أكبر ".

وقوة الجماعة بالوحدة، وصيغتها: " لا إله إلا الله ".

وقوة العالم بالألفة، وصيغتها: " السلام عليكم ".

فالتكبير والتهليل والتسليم هي هُتاف المسلم في أذانه وصلاته، وهي شعاره في أعماله ومعاملاته. ولا أجد للإسلام خلاصة تستوعب أسراره ومعانيه ومغازيه خيرًا من هذه الصيغ الثلاث.

فالله أكبر جملة تضمنت سر الاعتقاد، وسر الجهاد، وسر الفداء، وسر النصر: ولاشتمالها على هذه الأسرار كانت ركنًا جوهريًا في الصلاة: يدخل بها المصلي إلى الله، ثم يرددها في ركوعه وسجوده، وفي قيامه وقعوده. ثم كانت هتافًا حماسيًا في الحرب، يصيح بها المجاهد عند الهجوم فيكبر في نفسه النصر، ويصغر في عينه الخطر، وكان غالبًا ما يكون هذا الهتاف: الله أكبر. فتح ونصر. فإذا جاء نصر الله والفتح انقلب هذا الهتاف القوي نشيدًا قوميًا ينشده المجاهدون في كل مسجد، ويردده المصلون في كل عيد، وهو: الله أكبر كبيرًا، والحمد لله كثيرًا، لا إله إلا الله وحده، صدق وعده، ونصر عبده، وهزم الأحزاب وحده. وقوة هذه الكلمة آتية من اعتقاد المسلم بأن الله أكبر من كل كبير، وأقدر من كل قدير، وأعلى من كل عليّ، فهو في حمى هذا الاعتقاد يهاجم الجيش الكثيف ولا يخشى، ويقتحم الخطر الداهم ولا يبالي. وكيف يخشى ضررًا أو يبالي خطرًا، والله الذي تفرد بالسلطان الأعظم، واختص بالقدرة العليا، يحميه مَن وراءه ويكفيه مَن أمامه؟.

والتكبير في حقيقته إعلان عما يجيش في النفس من إجلال للمثل الأعلى، وإعجاب بالعمل الأرفع، فنحن نكبر الله حين يملأ قلوبنا جلاله، وحين يملك شعورنا صنعه. ونحن نكبره كل يوم في الأذان والإقامة والصلاة؛ لأن الإسلام قائم بأركانه الخمسة على القوة أو على ما تحصل به القوة. فالصلاة نظافة جسدية بالوضوء، وطهارة روحية بالذكر، ورياضة بدنية بالحركة. والزكاة تقوية للضعيف بالتصدق، وتنمية المال بالتطهير، وتمكين للمجتمع بالتعاون. والحج قوة اجتماعية بالتعارف والتآلف، وقوة سياسية بالتشاور والتحالف، وقوة اقتصادية بالبياعات والتسويق، فلولا قوته الروحية في الصلاة، وقوته الاقتصادية في الزكاة، وقوته الاجتماعية في الحج، وقوته المادية في الجهاد، لما استطاع المسلمون أن يفتحوا أكثر الدنيا القديمة فيملكوا معظم أفريقيا وأطراف أوروبا من الغرب، ومعظم آسيا وأطراف أوروبا من الشرق.

و " لا إله إلا الله " هي كلمة التوحيد. والتوحيد ركن من أركان الإسلام وعنوان بارز من عناوينه. يقصد به في الأصل توحيد الله، ثم قصد به من طريق اللزوم توحيد الكلمة، وتوحيد القبلة، وتوحيد الغاية، وتوحيد اللغة، وتوحيد الحكم، وتوحيد التشريع، وتوحيد الدين والدنيا. فهي من الكلم الجوامع التي وعت جوهر الإصلاح وسر النجاح لكل جماعة وأمة. ذلك لأن أشد ما تجتمع به القوة وتنسق عليه الحال، الوحدة والجماعة، وهما لباب الدعوة الإسلامية.

فالوحدة هي الأساس الذي حمل، والجماعة هي البناء الذي قام، ومن ثم قامت سياسة الإسلام على استدامة القوة بالمحافظة على الوحدة والحرص على الجماعة، فالفرد الذي يفكر بوحدة العقيدة والأمة يُقتل، والطائفة التي تبغى على جماعة المسلمين يقاتل؛ والحاكم الذي يُضل قومه السبيل يعزل، والصلاة إنما يعظم أمرها ويضاعف أجرها إذا أديت في جماعة. وهذه الجماعة تتكرر خمس مرات كل يوم، ثم تكبر في صلاة الجمعة كل أسبوع، ثم تعظم في صلاة العيدين كل عام، ثم تضخم في أداء الحج مرة على الأقل في كل عمر.

أما " السلام عليكم "، فهي الصيغة للمعنى الإسلامي الذي يقابل معنى الجاهلية قبل الرسالة، ومعنى الجهاد بعد الدعوة، ومعنى التكبير في أول الصلاة.

ومقابلة التكبير وهو رمز القوة بالتسليم وهو رمز الرحمة، دليل على أن القوة التي يأمر بها الإسلام هي قوة الحكمة والعدل، لا قوة السفه والجور، فهي قوة مزدوجة، أو قوة فيها قوتان: قوة تهاجم البغي والعدوان في الناس، وقوة تدافع الأثرة والطغيان في النفس. فالمصلي يدخل في الصلاة إلى الله بالتكبير وهو خشوع وعبادة، ويخرج منها الناس بالتسليم وهو أمان ورحمة

(والسلام عليكم) بعد أولئك كله تحية المسلم لنبيه في الصلاة. وتحية المسلم لأخيه في كل وقت؛ يلقيها عليه حين يلقاه فيضمن له الأمان من نفسه، ويحمله على أن يطمئن إليه بأنسه.

فأنت ترى أن القوة الحكيمة التي تصدر عنها العزة والمروءة والحرية والعدالة هي طبيعة الإسلام ووصيلته. على ذلك كان إسلام محمد وأبو بكر وعمر، وعلى ذلك

كانت عروبة خالد وسعد وعمرو. كان العرب والمسلمون حينئذ يحملون المصحف للحق والسيف للباطل. وكان خلفاؤهم يجمعون بين إمامة الصلاة وقيادة المعركة، حتى بلغوا من القوة أن فعل كتاب الرشيد في (نيقفور) ما لا يفعل الجيش؛ وبلغوا من المروءة أن سيّر المعتصم جيشًا إلى (عمورية) لإنقاذ امرأة !.

فمن لم يكن قوي البأس، قوي النفس، قوي الإرادة؛ يؤمن بالوحدة، ويحرص على الجماعة، ويخلص للقومية، كان مسلمًا من غير إسلام، وعربيًا من غير عروبة.